الفصل الرابع

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ

إنها بداية الوحى وأول آية نزلت من القرآن

• وصف القرآن :

إن أصدق وصف للقرآن هو الوصف الذى أتى به القرآن نفسه ، ومهما قال القائلون فى وصفه وتفنن الكتاب فى إعطاء صورة عنه فإنهم لن يبلغوا الوصف الذى وصفه به منزله سبحانه وتعالى ، ونحن فيما يلى نذكر بعض ما ورد فى القرآن عن القرآن :

القرآن من أسباب بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم .

« رَبَّنا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ ، وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ »(١) .

« لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ ، وَإِنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ »(٢) .

« كَمَا أَرْسَلْنا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آياتِنا ، وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ ، وَيُعَلِّمُكُمْ ما لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ »(٣) .

---

(١) البقرة – آية : ١٢٩ .
(٢) آل عمران – آية : ١٦٤ .
(٣) البقرة – آية : ١٥١ .

مصدره :

« وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ »(١) .
« حمٓ ، تَنْزِيلُ الْكِتابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ »(٢) .
« حمٓ ، تَنْزِيلُ الْكِتابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ »(٣) .
« الٓر كِتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ »(٤) .
« حمٓ ، وَالْكِتابِ الْمُبِينِ ، إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ »(٥)

أوصافه :

مبين
« الٓر تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ الْمُبِينِ »(٦) .
« الٓر تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ »(٧) .
« طٰسٓ تِلْكَ آياتُ الْقُرْآنِ وَكِتابٍ مُبِينٍ »(٨) .

هو نور :

« الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي

---

(١) النمل آية : ٦ .
(٢) غافر آية : ١ ، ٢ .
(٣) الجاثية - آية : ١ ، ٢ .
(٤) هود آية : ١ .
(٥) الدخان - آية : ١ - ٣ .
(٦) يوسف آية : ١ .
(٧) الحجر - آية : ١ .
(٨) النمل - آية : ١ .

التَّوْراةِ وَالْإِنْجِيلِ ، يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهاهُمْ عَنِ الْمنكَرِ ، وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّباتِ ، وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبائِثَ ، وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ ، وَالْأَغْلالَ الَّتِي كانَتْ عَلَيْهِمْ ، فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ ، وَعَزَّروهُ وَنَصَروهُ ، واتَّبعوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ، أُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ »(١) .

« يَأيها النَّاسُ قَدْ جاءَكُمْ بُرْهانٌ مِن رَبِّكُمْ ، وأنْزلْنا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً »(٢) .

« وكَذلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنا ما كُنْتَ تَدْرِي ما الْكِتابُ وَلا الإِيمان ، ولَكِنْ جَعلناهُ نُوراً نَهدِي بِهِ مَنْ نَشاءُ منْ عبادِنا ، وإنكَ لَتَهْدِي إِلَى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ »(٣) .

حكيم :

« الر تِلْكَ آياتُ الكتابِ الْحَكِيمِ »(٤) .

حق :

« وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لما بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللهَ بِعبادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ »(٥) .

مبارك :

« كِتابٌ أنزلْناهُ إِلَيْكَ مُبارَكٌ لِيَدَّبَّروا آياتِه ، ولِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبابِ »(٦) .

---

(١) الأعراف – آية : ١٥٧ .
(٢) النساء – آية : ١٧٤ .
(٣) الشورى – آية : ٥٢ .
(٤) يونس – آية : ١ .
(٥) فاطر – آية : ٣١ .
(٦) ص – آية : ٢٩ .

« وَهَذا كتابٌ أنزلْناهُ مُبارَكٌ فاتَّبِعُوهُ واتَّقُوا لَعَلَّكُم تُرْحَمُون »[١] .

« وهَذا كتابٌ أَنْزَلناهُ مُبارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَها ، وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ ، وَهُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ يُحافِظُون »[٢] .

معجز :

« قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ، ولَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً »[٣] .

عظيم :

« وَلَقَدْ آتَيْناكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ »[٤] .

علىٌّ حكيم :

« وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتابِ لَدَيْنا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ »[٥] .

عزيز :

« إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جاءَهُمْ ، وَإِنَّهُ لَكِتابٌ عَزِيزٌ »[٦] .

---

(١) الأنعام - آية : ١٥٥ .
(٢) الأنعام - آية : ٩٢ .
(٣) الإسراء - آية : ٨٨ .
(٤) الحجر - آية : ٨٧ .
(٥) الزخرف - آية : ٤ .
(٦) فصلت - آية : ٤١ .

مفصل على علم :

« وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ »[١] .

« كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ »[٢] .

أحسن القصص :

« نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِما أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ ، وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ »[٣] .

لا عوج له :

« الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً »[٤] .

يهدى إلى الحق :

« وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ ، فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا ، فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ . قَالُوا يا قَوْمَنا إِنَّا سَمِعْنا كِتاباً أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ ، وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ . يَا قَوْمَنا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ . وَمَنْ لا يُجِبْ دَاعِيَ اللهِ ، فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ ، وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِياءُ أُولَئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ »[٥] .

---

(١) الأعراف – آية : ٥٢ .

(٢) فصلت – آية : ٣ .

(٣) يوسف – آية : ٣ .

(٤) الكهف – آية : ١ .

(٥) الأحقاف – آية : ٢٩ – ٣٢ .

عربى الأسلوب ، عالى الدلالة :

« حمٓ وَالْكِتابِ الْمُبِينِ ، إِنَّا جَعَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ »[١] ،
« قُرْآناً عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ »[٢] .

لا ريب فيه :

« الٓمٓ ذٰلِكَ الْكِتابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ »[٣] .

يخرج من الظلمات إلى النور :

« الٓرٰ كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِراطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ »[٤] .

بشرى المسلمين

« وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ، وَجِئْنا بِكَ شَهِيداً عَلَى هٰؤُلاءِ ، وَنَزَّلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ »[٥] .

رحمة للمؤمنين :

« وَمَا أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ »[٦] .

---

(١) الزخرف - آية : ١ ، ٣ .
(٢) الزمر - آية : ٢٨ .
(٣) البقرة - آية : ١ ، ٢ .
(٤) إبراهيم - آية : ١ .
(٥) النحل - آية : ٨٩ .
(٦) النحل - آية : ٦٤ .

تلاوته :

« إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتابَ اللهِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ ، وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْناهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً ، يَرْجُونَ تِجارَةً لَنْ تَبُورَ » (١) .

نذير :

« تَبارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعالَمِينَ نَذِيراً (٢) .

أُنزِلَ بالحق :

« إِنَّا أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ ، فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ ، وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّما يَضِلُّ عَلَيْها ، وَما أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ » (٣) .

أحسن الحديث :

« اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتاباً مُتَشابِهاً مَثانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللهِ ، ذَلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشاءُ ، وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَما لَهُ مِنْ هادٍ » (٤)

نذير لكل من بلغه :

« قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهادَةً ، قُلِ اللهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ، وَأُوحِيَ إِلَيَّ

(١) فاطر – آية : ٢٩ .
(٢) الفرقان – آية : ١ .
(٣) الزمر – آية : ٤١ .
(٤) الزمر – آية : ٢٣ .

هـذا الْقُرْآنُ لأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللهِ آلِهَةً أُخْرَى ، قُلْ لا أَشْهَدُ ، قُلْ إِنَّما هُوَ إِلَهٌ واحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ » (١) .

تذكرة :

« نَحْنُ أَعْلَمُ بِما يَقُولُونَ ، وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ ، فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخافُ وَعِيد » (٢) .

مصدقاً لما بين يديه :

« نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْراةَ والإِنْجِيلَ » (٣) .

أثره وتأثيره :

« لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللهِ ، وتِلْكَ الأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ » (٤) .

« وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ ، أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى ، بَلْ لِلهِ الأَمْرُ جَمِيعاً ، أَفَلَمْ يَيْئَسِ الَّذِينَ آمَنُوا ، أَنْ لَوْ يَشاءُ اللهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً ، وَلا يَزالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِما صَنَعُوا قارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيباً مِنْ دارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللهِ ، إِنَّ اللهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعادَ » (٥) .

---

(١) الأنعام آية : ١٩ .
(٢) ق - آية : ٤٥ .
(٣) آل عمران آية : ٣ .
(٤) الحشر - آية : ٢١ .
(٥) الرعد - آية : ٣١ .

« وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجاباً مَسْتُوراً » (١) .

من آداب التلاوة :

« فإذا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ » (٢) .

« وَإِذا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ » (٣) .

« وَقُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْناهُ تَنْزِيلا » (٤) .

« أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً » (٥) .

حكم :

« أَفَغَيْرَ اللهِ أَبْتَغِي حَكَماً ، وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتابَ مُفَصَّلا ، وَالَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ ، فلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ » (٦) .

حزن الرسول صلى الله عليه وسلم على هجره :

« وَقَالَ الرَّسُولُ يا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً » (٧) .

والآن نذكر بعض الطرائف التي رويت متعلقة ببعض آيات القرآن :

---

(١) الإسراء - آية : ٤٥ .
(٢) النحل - آية : ٩٨ .
(٣) الأعراف - آية : ٢٠٤ .
(٤) الإسراء - آية : ١٠٦ .
(٥) النساء - آية : ٨٢ .
(٦) الأنعام - آية : ١١٤ .
(٧) الفرقان - آية : ٣٠ .

عن الشعبي قال : لقي عمر بن الخطاب ركباً في سفر ، فيهم بن مسعود ، فأمر رجلا يناديهم : من أين القوم ؟ قالوا : أقبلنا من الفج العميق [١] ، نريد البيت العتيق [٢] .

فقال عمر : إن فيهم لعالماً ، وأمر رجلا أن يناديهم : أي القرآن أعظم ؟ فأجابه عبد الله :

« اللهُ لا إلـهَ إلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ، يَعْلَمُ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِما شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْض ، وَلَا يَؤُدُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ » [٣]

قال : نادهم ، أي القرآن أحكم ؟

فقال ابن مسعود :

« إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ، وَإِيتاءِ ذِي الْقُرْبى ، وَيَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ، يَعِظُكُمْ لعَلَّكُمْ تذكَّرونَ » [٤] .

قال : نادهم ، أي القرآن أجمع ؟

فقال : « فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خيْراً يَرَهُ ،وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه » [٥] .

---

(١) يشير إلى قوله تعالى : « وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق » .

(٢) والبيت العتيق يشير إلى قوله تعالى : « ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق » .

(٣) سورة البقرة - آية : ٢٥٥ .

(٤) النحل - آية : ٩٠ .

(٥) الزلزلة آية : ٧ ، ٨ .

فقال : نادهم : أى القرآن أحزن ؟

فقال : « مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ ، وَلا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيراً » (١) .

فقال : نادهم ، أى القرآن أرجى ؟

فقال : « قُلْ يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ ، إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ » (٢) .

فقال : أفيكم ابن مسعود ؟ قالوا : نعم (٣) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره بنحوه .

وأخرج عبد الرزاق أيضاً ، عن ابن مسعود قال : أعدل آية فى القرآن : « إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ والإِحْسانِ ، وَإِيتاءِ ذِي الْقُرْبَى ، وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ، يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ » (٤) .

وأحكم آية :

« فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه » .

وأخرج الحاكم عنه قال : إن أجمع آية فى القرآن للخير والشر :

« إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ والإِحْسانِ ، وَإِيتاءِ ذِي الْقُرْبَى ، وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشاءِ وَالْمُنْكَرِ ، وَالْبَغْيِ ، يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُون » .

وأخرج عنه قال : ما فى القرآن آية أعظم فرجاً من آية فى سورة الغرف : (أى سورة الزمر) :

---

(١) النساء - آية : ١٢٢ .

(٢) الزمر - آية : ٥٣ .

(٣) انظر الإتقان للسيوطى .

(٤) النحل - آية : ٩٠ .

« قُلْ يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ ، لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ ، إنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ » .

وما فى القرآن آية ، أكثر تفويضاً من آية فى سورة النساء القصرى :

« وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بالِغُ أَمْرِهِ ، قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرا »(١) .

وأخرج أبو ذر الهروى فى فضائل القرآن من طريق يحيى بن يعمر ، عن ابن مسعود ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن أعظم آية فى القرآن » :

« اللهُ لاَ إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ ما فِي السَّمواتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ من ذا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ، يَعْلَمُ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ ، إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَواتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَؤُدُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ » .

وأعدل آية فى القرآن :

« إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ، يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ » .

وأخوف آية فى القرآن : « فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ،وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ » .

وأرجى آية فى القرآن : « قُلْ يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ » .

---

(١) الطلاق - آية : ٣ .

شهر رمضان والقرآن :

« إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ » .

وقراءة القرآن فى شهر رمضان من أسمى القربات ، وهى تتناسب مع شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس ، وبينات من الهدى والفرقان ، والله سبحانه وتعالى يقول عن القرآن :

« إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ »[1] . قال :

هو القرآن ، ليس كلهم رأى النبى صلى الله عليه وسلم ، وفى الحديث — فيما رواه البخارى — :

يؤُم الناس أقرؤهم لكتاب الله .

وما ذاك إلا أنه أعلم بأحكام الله : فالعالم بالقرآن عالم بجملة الشريعة .

وعن عائشة رضوان الله عليها ، أن من قرأ القرآن فليس فوقه أحد .

وعن عبد الله قال :

« إذا أردتم العلم فثوروا القرآن فإن فيه علم الأولين والآخرين »[2] .

وعن عبد الله بن عمر قال : « من جمع القرآن فقد حمل أمرًا عظيماً ، وقد أدرجت النبوة بين جنبيه ، إلا أنه لا يوحى إليه » .

وفى رواية عنه : « من قرأ القرآن ، فقد اضطربت النبوة بين جنبيه . وما ذاك إلا أنه جامع لمعانى النبوة » ا هـ .

والأحاديث فى القرآن وفضله كثيرة .

---

(١) الآية : « ربنا إننا سمعنا منادياً ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار » . آل عمران : ١٩٣ .

(٢) فثوروا القرآن : أى تدبروه وافهموا معناه العميق .

عن أبي أمامة - فيما رواه مسلم - قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« اقرأوا القرآن ، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه ، اقرأوا الزهراوين : البقرة وسورة آل عمران ، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان ، أو غيابتان ، أو فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما ، اقرأوا سورة البقرة ، فإن أخذها بركة ، وتركها حسرة ، ولا يستطيعها البطلة »[1] !

وأخرج الدارمي في سننه ، عن أبي الأحوص عن عبد الله قال : إن هذا القرآن مأدبة الله ، فتعلموا من مأدبته ما استطعتم .

إن هذا القرآن حبل الله ، والنور المبين ، والشفاء النافع ، عصمة لمن تمسك به ، ونجاة لمن اتبعه ، لا يزيغ فيستعتب ، ولا يعوج فيقوم ، ولا تنقضي عجائبه ، ولا يخلق على كثرة الرد . فاتلوه فإن الله يأجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات . أما إني لا أقول : ألم ، ولكن ألف ولام وميم .

وأخرج الدارمي أيضاً في سننه عن الحارث قال :

دخلت المسجد فإذا أناس يخوضون في أحاديث ، فدخلت على عليّ فقلت : ألا ترى أن أناساً يخوضون في الأحاديث في المسجد فقال : قد فعلوها ؟ قلت : نعم . قال : أما أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ستكون فتن » قلت : وما المخرج منها ؟ قال :

كتاب الله ، فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، هو الذي من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، فهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو

---

(١) رواه مسلم .

الصراط المستقيم ، وهو الذى لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يخلق عن كثرة الرد ، ولا تنقضى عجائبه ، وهو الذى لم ينته الجن إذ سمعته أن قالوا : « إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً » هو الذى من قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن عمل به أجر ، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم .

فضله(١).

قال صلى الله عليه وسلم : يقول الله تبارك وتعالى : « من شغله قراءة القرآن ، عن دعائى ومسألتى أعطيته أفضل ثواب الشاكرين »(٢)

وقال صلى الله عليه وسلم : « ثلاثة يوم القيامة على كثيب من مسك أسود لا يهولهم فزع ، ولا يناله حساب حتى يفرغ ما بين الناس :

رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله عز وجل ، ورجل أم به قوماً وهم به راضون » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « أهل القرآن أهل الله وخاصته »(٣).

وقال صلى الله عليه وسلم : « إن القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد ، فقيل يا رسول الله ، وما جلاؤها ؟ فقال : تلاوة القرآن وذكر الموت » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « لله أشد أذناً إلى قارئ القرآن من صاحب القينة إلى قينته »(٤).

قال أبو أمامة الباهلى : اقرأوا القرآن ولا تغرنكم هذه المصاحف المعلقة : فإن الله لا يعذب قلباً هو وعاء للقرآن .

---

(١) من المراجع التى رجعت إليها ابتداء من الحديث عن فضل القرآن إلى نهاية هذا الفصل : كتاب الإتقان للسيوطى ، وكتاب الإحياء للإمام الغزالى ، وكتاب محاسن التأويل للقاسمى ، وكتاب الترغيب والترهيب للمنذرى ، وكتابنا : العبادة .

(٢) رواه الترمذى وقال حسن غريب .

(٣) رواه كتب السنة بإسناد حسن .

(٤) رواه ابن ماجة وابن حبان والحاكم .

وقال ابن مسعود : إذا أردتم العلم فانثروا القرآن ، فإن فيه علم الأولين والآخرين .

وقال أيضاً : لا يسأل أحدكم عن نفسه إلا القرآن ، فإن كان يحب القرآن ويعجبه ، فهو يحب الله سبحانه ، ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وإن كان يبغض القرآن فهو يبغض الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم .

وقال عمرو بن العاص : كل آية فى القرآن درجة فى الجنة ، ومصباح فى بيوتكم .

وقال أيضاً : من قرأ القرآن فقد أدرجت النبوة بين جنبيه إلا أنه لا يوحى إليه .

وقال أحمد بن حنبل : رأيت الله عز وجل فى المنام فقلت : يا رب ما أفضل ما تقرب به المتقربون إليك ؟ قال : بكلامى يا أحمد . قال :

قلت : يا رب بفهم أوبغير فهم ؟ قال : بفهم وبغير فهم .

وقال الفضيل بن عياض : ينبغى لحامل القرآن ألا يكون له إلى أحد حاجة ولا إلى الخلفاء فمن دونهم ، فينبغى أن تكون حوائج الخلق إليه ، وقال أيضاً : حامل القرآن حامل راية الإسلام ، فلا ينبغى أن يلهومع من يلهو ، ولا يسهومع من يسهو ، ولا يلغومع من يلغو تعظيماً لحق القرآن .

ويروى أن خالد بن عقبة جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : اقرأ على القرآن فقرأ عليه : « إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى ، وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ، يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ » . فقال له : أعد ، فأعاد ، فقال : والله إن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أسفله لمورق ، وإن أعلاه لمثمر ، وما يقول هذا بشر(١) .

---

(١) رواه البيهقى فى الشعب من حديث ابن عباس بسند جيد إلا أنه قال الوليد بن المغيرة بدل =

ولقد تحدث الإمام السيوطى فى كتاب الإتقان ، فى : النوع الخامس والسبعون فى خواص القرآن .

فقال :

أخرج ابن ماجه وغيره من حديث ابن مسعود : « عليكم بالشفاءين القرآن والعسل » .

وأخرج أيضاً من حديث على : « خير الدواء القرآن » .

وأخرج أبو عبيد عن طلحة بن مصرف ، قال : « كان يقال إذا قرئ القرآن عند المريض وجد لذلك خفة » .

وأخرج البخارى من حديثه أيضاً قال : « كنا فى مسير لنا ، فنزلنا فجاءت جارية فقالت : إن سيد الحى سليم(١) ، فهل معكم راق ؟ فقام معها رجل ، فرقاه بأم القرآن فبرئ ، فذكر للنبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : « وما كان يدريه أنها رقية ! » .

وأخرج مسلم من حديث أبى هريرة : « أن البيت الذى تقرأ فيه البقرة لا يدخله الشيطان » .

وأخرج عبد الله بن أحمد فى زوائد المسند بسند حسن عن أبىّ بن كعب قال :

كنت عند النبى صلى الله عليه وسلم ، فجاء أعرابى فقال : يا نبى الله ، إن لى أخاً وبه وجع ، قال : وما وجعه ؟ قال : به لمم ، قال : فأتنى به ، فوضعه بين يديه ، فعوذه النبى صلى الله عليه وسلم ، بفاتحة الكتاب ، وأربع آيات من أول سورة البقرة ، وهاتين الآيتين ، « وإلهكم

خالد بن عقبة وكذا ذكره ابن إسحاق فى السيرة بنحوه .

(١) أى مريض .

إلهٌ واحد» وآية الكرسي ، وثلاث آيات من آخر سورة البقرة ، وآية من آل عمران :

« شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لاَ إِلٰـهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلٰه إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ »(١).

وآية من الأعراف : « إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا والشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ، أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ، تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ »(٢).

وآخر سورة المؤمنين :

« فَتَعَالَى اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ، لا إِلٰـهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ »(٣) .

وآية من سورة الجن : « وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا »(٤)، وعشر آيات من أول الصافات ، وثلاث آيات من آخر سورة الحشر ، وقل هو الله أحد والمعوذتين ، فقام الرجل كأنه لم يشك قط .

وأخرج البخارى عن أبى هريرة فى قصة الصدقة : « إن الجنى قال له : إذا أويت إلى فراشك ، فاقرأ آية الكرسى ، فإنك لن يزال عليك من الله حافظ ، ولا يقربنك شيطان حتى تصبح ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « أما إنه صدقه ، وهو كذوب » .

وأخرج الترمذى والحاكم عن سعد بن أبى وقاص : « دعوة ذى النون إذ دعاه وهو فى بطن الحوت : « لا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّى كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ » لم يدع بها رجل مسلم فى شىء إلا استجاب الله له .

---

(١) آل عمران آية : ١٨ .
(٢) الأعراف - آية : ٥٤ .
(٣) المؤمنون آية : ١١٦ .
(٤) الجن - آية : ٣ .

وأخرج الترمذى من حديث أبى هريرة : « من قرأ الدخان كلها ، وأول غافر إلى « إليه المصير » . وآية الكرسى حين يمسى حفظ بها حتى يصبح ، ومن قرأها حين يصبح حفظ بها حتى يمسى » رواه الدارمى بلفظ « لم ير شيئاً يكرهه » .

وأخرج أبو داود عن ابن عباس قال : إذا وجدت فى نفسك شيئاً يعنى الوسوسة فقل : « هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ والظَّاهِرُ وَالْباطِنْ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ »[1] .

وقال الربيع : سألت الشافعى عن الرقية فقال : لا بأس أن يرقى بكتاب الله ، وما يعرف من ذكر الله .

وقال ابن بطال : فى المعوذات سر ليس فى غيرها من القرآن ، لما اشتملت عليه من جوامع الدعاء التى تعم أكثر المكروهات ، من السحر والحسد وشر الشيطان ووسوسته وغير ذلك ، فلهذا كان صلى الله عليه وسلم يكتفى بها .

وقال ابن القيم فى حديث الرقية بالفاتحة : « إذا ثبت أن لبعض الكلام خواص ومنافع ، فما الظن بكلام رب العالمين . ثم بالفاتحة التى لم ينزل فى القرآن ولا غيره من الكتب مثلها ، لتضمنها جميع ما فى الكتاب ، فقد اشتملت على ذكر أصول أسماء الله ومجامعها وإثبات المعاد ، وذكر التوحيد والافتقار إلى الرب فى طلب الإعانة به والهداية منه ، وذكر أفضل الدعاء ، وهو طلب الهداية إلى الصراط المستقيم ، المتضمن كمال معرفته وتوحيده وعبادته ، بفعل ما أمر به واجتناب ما نهى عنه ، والاستقامة عليه ، ولتضمنها ذكر أصناف الخلائق وقسمتهم إلى منعم عليه لمعرفته بالحق والعمل به ومغضوب عليه لعدوله عن الحق بعد معرفته ، وضال لعدم معرفته له ، ومع ما تضمنته من

(١) سورة الحديد - آية : ٣ .

إثبات القدر والشرع والأسماء والمعاد والتوبة وتزكية النفس وإصلاح القلب ، والرد على جميع أهل البدع .

وحقيق بسورة هذا بعض شأنها أن يستشفى بها من كل داء » أ هـ .

ومع هذه الفوائد المحققة للقرآن وفى القرآن ، فإنه يجب ألا ننسى أنه نزل أولا وبالذات للهداية ، ولإخراج الناس من الظلمات إلى النور ، ولهذه المهام الكبرى التى ذكرها الله سبحانه وتعالى فى هذه الآيات الكثيرة التى وصفه بها والتى أتينا بها من أجل التنبيه على أوصافه وغاياته ، وما أنزل من أجله ، ولهذا كان لابد من :

* **التدبر فى القرآن :**

عن أبى ذر قال : « قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بنا ليلة ، فقام بآية يرددها وهى « إِنْ تُعَذِّبْهُم فَإِنَّهُم عِبَادُكَ ، وإِنْ تَغْفِرْ لَهُم فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيم » .

وقام تميم الدارى ليلة بهذه الآية (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ)[1] .

وقام سعيد بن جبير ليلة يردد هذه الآية (وامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُون) .

التفهم ، وهو أن يستوضح من كل آية ما يليق بها ، إذ القرآن يشتمل على ذكر صفات الله عز وجل ، وذكر أفعاله ، وذكر أحوال الأنبياء عليهم السلام ، وذكر أحوال المكذبين لهم ، وأنهم كيف أهلكوا ، وذكر أوامره وزواجره ، وذكر الجنة والنار[2] .

---

(١) الآية : « أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون » . الجاثية : ٢١ .

(٢) إحياء علوم الدين للإمام الغزالى .

أما صفات الله عز وجل ، فكقوله تعالى : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) .

وكقوله تعالى : (الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكبر)[1] فليتأمل معانى هذه الأسماء والصفات ليكشف له أسرارها ، فتحتها معان مدفونة لا تنكشف إلا للموفقين ، وإليه أشار على رضى الله عنه بقوله : (ما أسر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً كتمه عن الناس إلا أن يؤتى الله عز وجل عبداً فهماً فى كتابه) . فلتكن حريصاً على طلب ذلك الفهم .

وقال ابن مسعود رضى الله عنه : من أراد علم الأولين والآخرين ، فليثور[2] القرآن ، وأعظم علوم القرآن تحت أسماء الله عز وجل وصفاته ، إذ لم يدرك أكثر الخلق منها إلا أموراً لائقة بأفهامهم ولم يعثروا على أغوارها .

وأما أفعاله[3] تعالى فكذكره خلق السموات والأرض وغيرها . فليفهم التالى منها صفات الله عز وجل ، وجلاله ، إذ الفعل يدل على الفاعل ، فتدل عظمته على عظمته ، فينبغى أن يشهد فى الفعل الفاعل دون الفعل ، فمن عرف الحق ، رآه فى كل شىء ، إذ كل شىء فهو منه وإليه ، وبه وله ، فهو الكل على التحقيق ، ومن لا يراه فى كل ما يراه ، فكأنه ما عرفه ، ومن عرفه عرف أن كل شىء ما خلا الله باطل ، وأن كل شىء هالك إلا وجهه ، لأنه سيبطل فى ثانى الحال ، بل هو الآن باطل إن اعتبر ذاته من حيث هو ، إلا أن يعتبر وجوده من حيث إنه موجود بالله عز وجل وبقدرته ،

---

(١) سورة الحشر آية : ٢٣ .

(٢) ثور القرآن ، أى يبحث عن علمه .

(٣) انظر كتاب : إحياء علوم الدين .

فيكون له بطريق التبعية ثبات ، وبطريق الاستقلال بطلان محض .

وهذا مبدأ من مبادئ علم المكاشفة [١] . ولهذا ينبغى إذا قرأ التالى قوله عز وجل :

« أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ »[٢] . « أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَمْنُونَ » . « أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِى تَشْرَبُونَ » . « أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِى تُورُونَ » .

فلا يقصر نظره على الماء والنار والحرث والمنى ، بل يتأمل فى المنى وهو نطفة متشابهة الأجزاء ، ثم ينظر فى كيفية انقسامها إلى اللحم والعظم والعروق والعصب ، وكيفية تَشَكُّل أعضائها بالأشكال المختلفة من الرأس واليد والرجل والكبد والقلب وغيرها ، ثم إلى ما ظهر فيها من الصفات الشريفة من السمع والبصر والعقل وغيرها ، ثم إلى ما ظهر فيها من الصفات المذمومة من الغضب والشهوة والكبر والجهل والتكذيب والمجادلة ، كما قال تعالى :

« أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ » .[٣] فيتأمل هذه العجائب ليترقى منها إلى عجب العجائب وهو الصفة التى منها صدرت هذه الأعاجيب ، فلا يزال ينظر إلى الصنعة فيرى الصانع .

وأما أحوال الأنبياء ، عليهم السلام : فإذا سمع منها أنهم كيف كذبوا وضربوا وقتل بعضهم ، فليفهم منه صفة الاستغناء لله عز وجل عن الرسل والمرسل إليهم ، وأنه لو أهلك جميعهم لم يؤثر فى ملكه شيئاً ، وإذا سمع نصرتهم فى آخر الأمر فليفهم قدرة الله عز وجل ، وإرادته لنصرة الحق .

وأما أحوال المكذبين : كعاد وثمود وما جرى عليهم ، فليكن فهمه

---

(١) المصدر السابق .

(٢) الواقعة - آية : ٦٣ .

(٣) يس آية : ٧٧ .

منه استشعار الخوف من سطوته ونقمته ، وليكن حظه منه الاعتبار فى نفسه ، وأنه إن غفل وأساء الأدب واغتر بما أمهل ، فربما تدركه النقمة وتنفذ فيه القضية ، وكذلك إذا سمع وصف الجنة والنار وسائر ما فى القرآن ، فلا يمكن استقصاء ما يفهم منها لأن ذلك لا نهاية له ، وإنما لكل عبد منه بقدر رزقه ، وليقدر القارئ أنه المقصود بكل خطاب فى القرآن ، فإن سمع أمرًا أو نهيًا قدر أنه المنهى والمأمور ، وإن سمع وعدًا أو وعيدًا فكمثل ذلك ، وإن سمع قصص الأولين والأنبياء علم أن السمر غير مقصود ، وإنما المقصود ليعتبر به ، وليأخذ من تضاعيفه ما يحتاج إليه ، فما من قصة فى القرآن إلا وسياقها لفائدة فى حق النبى صلى الله عليه وسلم ، وأمته ، ولذلك قال تعالى : « وَكُلاًّ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ »[1] فليقدر العبد أن الله ثبت فؤاده بما يقصه عليه من أحوال الأنبياء ، وصبرهم على الإيذاء ، وثباتهم فى الدين لانتظار نصر الله تعالى ، وكيف لا يقدر هذا والقرآن ما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم لرسول الله خاصة ، بل هو شفاء وهدى ورحمة ونور للعالمين ، ولذلك أمر الله تعالى الكافة بشكر نعمة الكتاب ، فقال تعالى : « واذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ »[2] .

وقال عز وجل : « لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ » .

« وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ »[3] . « كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ »[4] .

---

(١) هود آية : ١٢٠ .

(٢) « واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شىء عليم » البقرة : ٢٣١ .

(٣) « ولعلهم يتفكرون » النحل – آية : ٤٤ .

(٤) سورة محمد – آية : ٣ وأولها : « ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا –

« واتَّبِعُوا أَحْسَنَ ما أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ »[١] . « هَذَا بَصائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ »[٢] . « هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ »[٣] .

وإذا قصد بالخطاب جميع الناس فقد قصد الآحاد ، فهذا القارئ الواحد مقصود ، فما له ولسائر الناس ؟ .

فليقدر أنه المقصود بقوله تعالى : « وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ »[٤] .

قال محمد بن كعب القرظى :

من بلغه القرآن ، فكأنما كلمه الله ، وإذا قدر ذلك لم يتخذ دراسة القرآن عمله ، بل يقرؤه كما يقرأ العبد كتاب مولاه ، الذى كتبه إليه ليتأمله ويعمل بمقتضاه ، ولذلك قال بعض العلماء : هذا القرآن رسائل أتتنا من قبل ربنا عز وجل بعهوده ، نتدبرها فى الصلوات ، ونقف عليها فى الخلوات ، وننفذها فى الطاعات والسنن المتبعات ، وكان مالك بن دينار يقول : ما زرع القرآن فى قلوبكم يا أهل القرآن ؟ .

إن القرآن ربيع المؤمن ، كما أن الغيث ربيع الأرض .

= اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس أمثالهم » .

(١) الآية : « واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم ، من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون » الزمر ٥٥ .

(٢) سورة الجاثية - آية : ٢٠ .

(٣) آل عمران - آية : ١٣٨ .

(٤) الآية : « وأوحى إلى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى ، قل لا أشهد قل إنما هو إله واحد وإننى برىء مما تشركون » الأنعام : ١٩ .

وقال قتادة :

لم يجالس أحد هذا القرآن إلا قام بزيادة أو نقصان ، قال الله تعالى : « هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا » (١) .

ومن آداب التلاوة :

أن يقول فى مبتدأ قراءاته : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، رب أعوذ بك من همزات الشياطين ، وأعوذ بك رب أن يحضرون . وليقرأ قل أعوذ برب الناس ، وسورة الحمد لله ، وليقل عند فراغه من القراءة ، صدق الله تعالى ، وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اللهم أنفعنا به ، وبارك لنا فيه ، الحمد لله رب العالمين ، وأستغفر الله الحى القيوم . وفى أثناء القراءة ، إذا مر بآية تسبيح سبح وكبر ، وإذا مر بآية دعاء واستغفار دعا واستغفر ، وإن مر بمرجو سأل ، وإن مر بمخوف استعاذ . يفعل ذلك بلسانه أو بقلبه فيقول : سبحان الله نعوذ بالله ، اللهم ارزقنا ، اللهم ارحمنا .

قال حذيفة :

« صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فابتدأ سورة البقرة ، فكان لا يمر بآية رحمة إلا سأل ، ولا بآية عذاب إلا استعاذ ، ولا بآية تنزيه إلا سبح » .

وعن الليث بن سعد ، عن أبى مليكة عن يعلى بن مملك أنه سأل أم سلمة عن قراءة النبى صلى الله عليه وسلم ، فإذا هى تنعت قراءة مفسرة حرفاً حرفاً (٢) .

---

(١) أول الآية : « وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين . . . » الآية من سورة الإسراء : ٨٢ .

(٢) رواه الترمذى ، وأبو داود ، والنسائى .

وعن ابن جريج ، عن أبي مليكة ، عن أم سلمة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقطع قراءته يقول : « الحمد لله رب العالمين » ثم يقف ثم يقول « الرحمن الرحيم » ثم يقف [١] .

وعن قتادة ، قال : سئل أنس : كيف كانت قراءة النبي صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : كانت مدًّا مدًّا ، ثم قرأ :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، يمد بسم الله ، ويمد بالرحمن ويمد بالرحيم » [٢] .

وعن حذيفة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« اقرأوا القرآن بلحون العرب وأصواتها ، وإياكم ولحون أهل العشق ، ولحون أهل الكتابين ، وسيجيء بعدى قوم يرجعون بالقرآن ، ترجيع الغناء والنواح ، ولا يجاوز حناجرهم ، مفتونة قلوبهم ، وقلوب الذين يعجبهم شأنهم » [٣] .

وعن طاووس مرسلا قال : سئل النبي صلى الله عليه وسلم :

أى الناس أحسن صوتا للقرآن وأحسن قراءة ؟ قال :

« من إذا سمعته يقرأ رأيت أنه يخشى الله » [٤] .

ومن آداب التلاوة :

يقول الله سبحانه وتعالى :

« وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ » .

ويقول سبحانه فى تعريف المؤمنين :

« إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ، وَإِذَا تُلِيَتْ

---

(١) رواه الترمذى . (٢) رواه البخارى .

(٣) رواه البيهقى فى شعب الإيمان ، ورزين فى كتابه .

(٤) رواه الدارمى .

عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ » .

والأمر بالاستماع والإنصات اللذين تفيض بسببهما رحمة الله على السامع المنصت إنما كان من أجل التدبر للمعانى الكريمة التى انطوت عليها الآيات القرآنية ، ومن أجل الاتعاظ بها والتزام الحدود التى سنتها والقواعد التى أتت بها ، وهى لكل ذلك إذا تليت على المؤمنين زادتهم إيماناً .

وكلام الله سبحانه وتعالى له فعل السحر فى خشية الله عند المؤمنين يقول سبحانه :

« اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللهِ ذَلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ »[1] .

والخشوع عند تلاوة القرآن ، والتزام السكينة والصمت عند تلاوته إنما يكون من قلب امتلأ بالإيمان ومحبة الله سبحانه وتعالى ، والخوف منه ، والرجاء فيه .

والله سبحانه وتعالى يبين أن الخشية من ثمار تلاوة القرآن أو سماعه ، بل إنه سبحانه يخبر أنه لو نزل القرآن على جبل لتمثل فيه الخشوع ، بل يصل الخشوع به إلى درجة التصدع ، يقول سبحانه :

« لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللهِ ، وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ »[2] .

فالواجب إذن التزام التدبر والاتعاظ والتزام الهدوء والصمت ولا بأس من أن ينطق الإنسان مختارًا أو مضطرًّا عندما يمتلئ قلبه بمعنى من المعانى

(١) الزمر آية : ٢٣ .

(٢) سورة الحشر آية : ٢١ .

فى سموه وجلاله ، أو بكيفية من كيفيات الأداء التى تتناسق مع المعنى رهبة أو رغبة ، ورحمة ورقة أو شدة وقوة ، لا بأس عند ذلك من أن يقول المستمع متفاعلا مع الظروف سبحان الله ، أو جل جلال الله ، أو سبحان من هذا كلامه ، أو أستغفر الله ، أو تبت إلى الله ، أو اللهم قنى عذابك ، أو اللهم أفض علىّ من رحمتك ، وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك ، ذلك هو موقف المؤمنين عند تلاوة القرآن أو عند سماعه .